مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 13، عدد رقم: 04، ديسمبر 2024، صص: 309 - 324
تاريخ الاستلام (2023/01/03) تاريخ القبول (2024/11/25) تاريخ النشر (2024/12/25)

التبدّلات التركيبيّة داخل التشكيل المقطعي
ظاهرة الإبدال بالإدغام أنموذجا

The Syntactic Variations within the Segmental Formation: The Phenomenon of Substitution through Assimilation as a Sample

عياد أمال
جامعة ابن خلدون تيارت (الجزائر)، ayadamel708@yahoo.fr

ملخص:
من الظواهر الصوتية المتنوعة داخل التركيب، والتي لها أهميتها في الدراسة اللغوية العربية ظاهرتي: الإبدال والإدغام، وأما يعرف صوتيا بالتماثل والتجانس الصوتي .وقد اهتمت هذه الورقة البحثيّة بدراسة هاتين الظاهرتين على مستوى التّشكيل المقطعي بالوصف والتّحليل، باعتباره اللّبنة الأساس في كلّ تركيب لغوي، ولما يختص به باقتر انه بالتبدلات التركيبية من وظائف صوتية، وأخرى دلالية. كما اتُخذت الصّيغ الثنائية المتقابلة في القرآن الكريم كميدان إجر ائي لوصف هاتين الظاهرتين من جهة، و إبراز خصائصها الصّوتية وقيّمها الدلالية من جهة أخرى.

كلمات مفتاحية: التّبدلات، التّركيبية، التّشكيل، المقطع، ظاهرة، الإبدال، الإدغام.

Summary:
Among the various phonetic phenomena within syntax that are significant in the study of Arabic linguistics are the phenomena of substitution and assimilation, known phonetically as similarity and phonetic homogeneity. This research paper focuses on studying these two phenomena at the level of segmental formation through description and analysis, considering it the fundamental building block of any linguistic structure, as it is associated with syntactic variations that have both phonetic and semantic functions. The paired forms found in the Qur'an were taken as a practical field for

المؤلف المرسل: عياد آمال، الإيميل: ayadamel708@yahoo.fr

describing these phenomena on one hand, and for highlighting their phonetic characteristics and semantic values on the other.
Keywords: Variations; syntactic; formation; segment; phenomenon; substitution; assimilation

1. مقدمة :

من التّقريرات اللّغوية الحديثة في الدرس اللساني أنّ الأصوات لا تثبت على حال، فهي تتبدل في أغلب الأحيان نتيجة عارض صوتي، أو صرفي، أو نحوي.

ولا تحدث هذه التّبدّلات فيما بين الأصوات (صامتة أو صائتة)؛ إلّا على مستوى الصيغة الإفرادية، باعتبارها أولى اللبنات في تشكيل التركيب، ومن ثمة السياق.

وتحدث هذه التّبادلات داخل الصّيغ الإفرادية على مستوى التّشكيل المقطعي، الذي يحاول في كثير من الحالات إقامة توازن نطقي، يهدف لاستقامة المعنى وتثبيته بإحدى الموضوعات الصّوتية الوظيفية، والتي هي كثيرة، تشاركها أمهات الكتب العربية مع الدراسات الحديثة، كالتماثل والتجانس، والتقارب، والتباعد، والإعلال، والقلب، وغيره من الموضوعات.

وقد ركز البحث هنا على بعض التّبدّلات لما لها من تقاطعات وتداخلات، وهي: ظاهرتي الإبدال والإدغام، أو التجانس والتماثل الصوتي على مستوى الصّيغ الإفرادية المتقابلة من القرآن الكريم، في محاولة للإجابة عن سؤال دقيق هو: هل أنّ القرآن الكريم يستعمل المفردة أحيانا مبدلة مدغمة، وأحيانا غير مبدلة لغرض صوتي محض، أم لغرض دلالي؟ وهل لهذا الاستعمال والتّوظيف فرق دلالي على مستوى الصيغة فقط، أم أنّه يمتد إلى السياق طالبا للتأويل؟ متبعين في ذلك المنهج الوصفي.

2. مفهوم الإدغام "التّماثل الصوتي

من الظواهر الصّوتية التي أصبحت لها ضوابط وقواعد تتحكم في صياغتها، غير خاضعة للذوق، بل هي نتاج دراسات وبحوثات قائمة على الوصف والتّحليل، ظاهرتي: **الإدغام والإبدال**، أو ما يعرف في الدرس اللساني الحديث: **بالتّماثل الصّوتي والتّجانس الصوتي**. **والإدغام** مصطلح تعارف عليه القدامى من اللّغويين العرب، أمَّا المحدثون فيصطلحون عليه بمصطلح **التّماثل**، **والإبدال** بمصطلح **التّجانس الصّوتي**، ولكلّ من

المصطلحين مفاهيم، وبعض التّداخلات والتّقاطعات، سنقف عليها في ضبط المفاهيم المصطلحية.

1.2 الإدغام:

هو أحد الظواهر الصوتية وتلويناتها، التي لها أثر في تحسين النّطق وتوجيه الدلالة. **والتّماثل** هو "تمازج أصوات وتداخلها في بعضها، ويحدث بأن يتحدّ صامتان متجاوران في المخرج والصفة"[1].ونفهم من هذا المفهوم لمصطلح **الإدغام**، أنّه لتحقيق التماثل أو إقامته في الصيغة الإفرادية، وجب مراعاة بعض الشروط:

2.2. شروط التماثل: من شروط التماثل الصوتي[2]:

1.2.2. أن يتجاور صوتان متماثلان؛ أي متحدان في المخرج والصفة ولا يفصل بينهما فاصل صوتي.

2.2.2. أن يكون الصوت الأوّل ساكنا -معرى من الصامت- أو يسكّن إن كان متحركًا؛ حتى تتم عملية الإدغام.

3.2.2. ألا يكون الصامت الأوّل السّاكن مسبوقًا بصامت ساكن، في مثل: (**قَرْدَدُ**)، فالراء الساكنة تمنع إدغام الدال الأولى في الثانية رغم تماثلها وتجاورهما؛ لأنّ توالي صامتين ساكنين في صيغة واحدة لا تقبله العربية في مبانيها وصيّغها.

3.2 أقسام التماثل :

يقسّم التماثل الصوتي بحسب تجاور وتقارب الصوامت إلى[3]:

1.3.2. تماثل تجاوري موقعي: ويحدث هذا النّوع من التّماثل على مستوى الصيغة الواحدة، مثل: **مدّ- غضّ- ردّ**. وهو موقعي بالتشديد.

2.3.2. تماثل تتابعي: ويكون في موقعين، أو أكثر من الصيغة الإفرادية مثل: (**اتَّبعناكنَّ**)، ففي مثل هذا المثال، القاعدة اللغوية، أو بالأحرى الصوتية، لا تعترف إلاّ بنوع واحد من الإدغام جاء مكررا في صامتي (**الألف، والنون**)، لكن عند الوصف والتّحليل نجد الصوامت المكرورة أكثر من ذلك، ففي هذا التشكيل المقطعي تكرر (**الألف**) مرتين (**في البداية وبعد النون**)، وتكررت النون ثلاث مرات (**بعد العين مرة، وآخر الصيغة مرتين**).

3.3.2. التّماثل المتصل المنفصل: نحو: (**أغضض، امدد**)، حيث تكرر صوت (**الضاد**) في الصّيغة الأولى في موقعين متصلين منفصلين، وكذلك صوت (**الدال**) في الصيغة الثانية، لكن لم يحدث الإدغام هنا، ويسمى هذا النوّع من الظواهر: ظاهرة **الإظهار**.

وهذا التّقييم يقود إلى استنتاج أنّ: كلّ إدغام تتابعي في أيّ صيغة هو موقعي بالتّشديد، ولكن لا يكون التماثل الموقعي بالتشديد تتابعيا.

ولنوع من التّفصيل حول أقسام الإدغام وأنواعه ما نجده مفصلا في كتب القدامى، وهو ما أشار إليه **سيبويه** في كتابه **الكتاب**، وقد قسمه إلى ستة أقسام، وهي:[4]

1- **الإدغام الحسن**: مثل: **رادّ**.

2- **الإدغام الجائز**: مثل: **جعل لك مخرجا**، ومعناه جواز إدغام اللامين، أو إظهارهما نطقيا.

3- **حسن البيان**: مثل: **ثوب بكر**، أي في نطق الصوتين المتماثلين، يستحسن نطق (**باء**) ثوب، و(**باء**) بكر كل صوت لوحده.

4- **الإدغام الممتنع**: مثل: **لَهَمَمٌ، قَرْدَدٌ**، فلا يجوز الإدغام رغم تماثل صوتي (**الميم**) في الصّيغة الأولى، وصوتي (**الدال**) في الصيغة الثانية؛ لأنّ القاعدة الصوتية تتطلب تسكين الصامت الأوّل منهما، وهو متحرك، وإذا سُكن التقى ساكنان؛ لأنّ ما قبلما ساكن أصلا، وهو ما لا تقبله العربية.

5- **ما يبدل استثقالا**، مثل: **اذبح عنزة**، لتجاور صوتين حلقيين (**الحاء والعين**)، والأصوات الحلقية ثقيلة صعبة نطقا، وكأن الناطق يبدل الحاء عينا، ويدغمها في العين الثانية، فتنطق (**اذ بعنزة**)، وهنا يتداخل التماثل مع التجانس، وهو موضوع البحث، والفرع التطبيقي.

6- **ما يحفى وهو بزنة المتحرك**، مثل: **ابن نوح، أم موسى**، وكأنّ النّاطق للتركيب ينطق ميما واحدة، ونونا واحدة، وهنا يظهر أنها عملية إدغام، وذلك بإدغام النون الأولى (**ابن**) في النون الثانية من (**نوح**) بالرغم من أن النون الأولى متحركة، ولكنها تخفى في الثانية، والتفسير نفسه بالنسبة للميم.

وهذه التّقسيمات لدى **سيبويه** ذكرها في قالب مقولة مستوفية مستشفة في كتابه، ونعود لذكرها بقوله: "وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه

الإدغام، وما يجوز فيه، ومالا يحسن فيه ذلك، ولا يجوز فيه، وما تبدله استثقالا، كما تدغم وما تخفيه، وهو بزنة المتحرك"[5].

هذا ما ذكره القدامى في كتبهم، ولسبب فضولي وإثارة علمية ينتابنا الفضول، لمعرفة تقسيمات المحدثين لظاهرة التماثل في مصنفاتهم وبحوثهم العلمية، الخاضعة لنوع علمي أكثر مما هو ذوقي حسي.

تعود تقسيمات المحدثين لظاهرة الإدغام إلى تأثر الأصوات ببعضها البعض، وبذلك فهم يقسمون التماثل إلى قسمين:

1- تماثل رجعي: وفيه يتأثر الصوت الأوّل بالثاني.

2-تماثل تقدمي: وفيه يتأثر الصوت الثاني بالأوّل[6].

وقد اشتملت العربية على هذين النّوعين من التّأثر، وإن كان التّأثر الرجعي أكثر شيوعا في العربية[7].ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ**﴾ [(8)] . ففي هذه الآية تأثرت الطاء بالتاء وأدغمت فيها من صيغة (**بسطت**) ولكنها، أي: الطاء ورغم إدغامها، إلاّ أنها حافظت على إطباقها.

أما مثال التماثل التّقدمي: وهو ناقص يقلّ في العربية، وفيه يشعر النّاطق بغياب الصّوت الثاني، وبقاء الصوت الأوّل، ومثاله نلمسه في قوله تعالى: ﴿**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**﴾[9].فعند نطق كلمة (**أحطت**) يشعر بغياب الصامت التاء، وكأنها أدغمت في التاء، وما هي كذلك.

ولا تعود تقسيمات القدامى والمحدثين معا إلى هذه التّصنيفات والتّقسيمات فقط؛ وإنما تعود أيضا وفي كثير من الحالات إلى حسب التّجاور، وعلى هذا الأساس ينقسم الإدغام إلى ثلاثة أقسام، وهي[10]:

1- **إدغام المتماثلين**: مثل: **هزّ- اتّبع- صوّت**.

2- **إدغام المتقاربين**: مثل: **اذبح عنزة.**

3- **إدغام المجموعات:** كالنطعية في الأسلية، والنطعية في بعضها البعض مثل: (**ذهبسلمى= ذهبت سلمى، وقسّمعت = قد سمعت**)، وإدغام المجموعة اللثوية (**ظ- ث- ذ**) في الصفيرية، مثل: (**ابعسّلمى، واحفصّلمى، وخصّابرا، ومزّمان**) لمن يريد (**بعث سلمى، واحفظ سلمى، وخذ صابرا، ومد زمان**)، وإدغام الحروف الأسنانية في النطعيّة هو:

(ابعدّلك، خدّاود، و ابعثّلك، واهبظالما) في **(ابعث ذلك، وخذ داود، و ابعث تلك، واهبط ظالما)**.

وبهذا التّقديم والتّمثيل للإدغام، وبعرض جميع أحواله وأحكامه بصورة مختصرة، نأتي إلى طي البحث فيه، لننتقل إلى التجانس الصوتي أو ما يعرف **بالإبدال**.

وقد تمّ الإشارة إلى أن الإدغام في أوجز تعريفاته بأنه تجاور صوتين متماثلين في صيغة واحدة، أو في صيغتين، أمَّا **التجانس الصوتي** فهو نصف حال التماثل-**الإدغام**- في أوجز تعريف له، وبعض الدارسين يصطلح عليه مصطلح: **التقارب الصوتي**، ويعرف عند القدماء بمصطلح أو تسمية: **الإبدال**.

3. مفهوم التجانس الصوتي أو الإبدال:

هو لون من ألوان الانسجام والتناسب في السياق اللغوي، وهو شبيه بالإدغام، يهدف إلى تقريب صوت من صوت، اقتصادا في الجهد العضلي، وتناسبا في السياق النطقي، ويكون بإحلال صوت مكان غيره في الصيغة الإفرادية لعلاقة بينهما في المخرج أو الصفة"[11].

وقد أوردنا هذا التعريف لمصطلح الإبدال لما له شمولية في العرض والطرح، وقد نستنتج عدة مستخلصات ونتائج من هذا التعريف أنّ:

-الإبدال لون من التلوينات الصوتية، يحدث في السياق اللغوي لأجل الانسجام والتناسب بين أصوات اللغة.

- الإبدال نصف حال الإدغام أو التماثل الصوتي.

- من أهدافه تقريب صوت من صوت، لتسهيل العملية النّطقية، إضافة إلى الاقتصاد من الجهد العضلي.

- يحدث الإبدال بإحلال صوت مكان غيره في الصيغة الإفرادية، شريطة أن يكون بين صوت وصوت آخر تجاور في المخرج أو الصفة، وهذا من خصائصه وميزاته.

1.3. أنواع الإبدال:

الإبدال نوعان: **لغوي وصرفي**، وقد فصّل الحديث فيه **صبحي صالح** في كتابه **دراسات في فقه اللغة** مفرقا بينهما بقوله: "ولذلك حرص العلماء على التفرقة بين الإبدال اللغوي، والإبدال الصرفي، ففي الصرف حروف معينة يقع فيها الإبدال الصرفي، لكن اللغة حين استقرئت وجمعت نصوصها، وأخبارها لم يقتصر الإبدال فيها على ما سنّه

الصرفيون"[12]، فالإبدال يختص بصوامت وصوائت تباينت واختلفت، من حيث العدد بين الدارسين، فهي عند **صبحي صالح** حروف العلّة؛ لأنها حسب رأيه من أكثر الأصوات خفة ودورانا في اللسان العربي، وذلك راجع لاتساع مخرجها، لما فيها من مدّ ولين[13].

ولابن مالك مجموعتان من الأصوات يقع فيها الإبدال، مجموعة في قوله: "**طويت دائما**"[14] من خلال كتابه التّسهيل. وفي أوضح المسالك زاد عن هذه الأصوات الثمانية صوت: **الهاء**، فأصبحت مجموعة في قوله: (**هدأت موطيا**)[15].

وبين التّباين والاختلاف في حروف الإبدال وأنواعه نصل في هذه الحلقة من البحث إلى مسوغات الإبدال.

2.3. مسوغات الإبدال: للإبدال مسوغات حصرها بعض الدارسين في أربعة[16]:

1.2.3. التّماثل: هو اتحاد في المخرج والصفة، كالبائين، والتائين والثائين، في مثل: **كبّ، مثّ، متّ**.

2.2.3. التّجانس: وهو اتحاد في المخرج واختلاف في الصفة بين الصوتين، في مثل: الطاء والدال، نحو: يطّلع: وأصله يتطلع من طلع.

3.2.3. التّقارب: ويكون في إحدى العلاقات التالية:

- اتحاد في المخرج واختلاف في الصفة، في مثل: الحاء والهاء، فلا يقال في (**اذبح هدهدا/ اذبهددا**)؛ لأنّ لكل منهما مخرجه الخاص، إلاّ أنهما اتحدا واتفقا في صفة الهمس.
- تقاربهما مخرجا وتباعدهما صفة: **كالدال والسين**.
- تقاربهم صفة وتباعدهم مخرجا، **كالشين والسين**.

4.2.3. التباعد:بإحدى العلاقتين:

- اختلاف أو تباعد في المخرج واتحاد في الصفة، في مثل: النون والميم نحو: (**من- ما**) فيقولون: (**مماله**) فيمن أراد قول (**من ماله**).
- تباعدهما مخرجا وصفة: **كالميم والصاد**.

وبعد هذا الطرح المقدم يظهر أنّ اللغويين أجمعوا قولهم حول المسوغات حول ضربين صوتيين: المخرج والصفة، إمَّا لاتحادهما أو تقاربهما، وهو ما مثله مسوغا **التّماثل والتّجانس**، وإما لاختلاف في المخرج واتحاد في الصفة، وهو ما مثله **التّقارب والتّباعد.**

وعن هذا الموجز للإبدال بكل مفاهيمه، وأنواعه، ومسوغاته، والذي يتم على مستوى الصيغة الإفرادية، وعلى مستوى التشكيل المقطعي بصورة أدق يقف البحث عند التشكيل المقطعي، بعرض وتذكير موجز لهذا التشكيل الصوتي، مبينين في هذه الوقفة مفهوم المقطع وأنواعه، وللقارئ الإضافة والاستفاضة منه في كتب الصوتيات، بكل تفاصيله وتفريعاته.

4. المقطع الصوتي :

مما هو مسلم به صوتيا أن الفونيم أصغر وحدة صوتية غير دالة قادرة على تغير المعنى محصورة في أ صامت مع صائت، إلا أن المقطع وحدة أكبر من الفونيم، يمكن أن يحصر في صوت واحد فما فوق، ولا ضير أن يكون وحدة لغوية بأكملها.

وقد اختلف العلماء في تحديد ماهية المقطع باعتباره مكونا فيزيائيا أو ناتجا سمعي، أو مكونا وظيفيا، وأبسط تعريف نأخذ به هو اعتبار المقطع الصوتي: "وحدة صوتية قاعدية مؤلفة من صامت وصائت"[17]، داخل السلسلة الكلامية.

وبهذا المفهوم يكون المقطع الصوتي أصل كلّ تشكيل لغوي في أيّ تركيب كلامي، مبني في أساسه على لبنات أخرى، وهي المفردات بمختلف أنواعها.

كما أن هذه المقاطع الصوتية كما ونوعا[18] بحسب مكوناتها، فمن حيث **الكم** توجد ثلاثة أشكال من المقاطع الصوتية:

1- المقطع القصير: وهو المتكون من صامت + صائت، نحو: **(ك)** غير منون، ويرمز له بـ **(ص ع)**[*]، فالصاد رمز للصامت، والعين رمز للصائت.

2- المقطع المتوسط: وهو المكوّن من صامت+ صائت طويل أو صوت مد، مثل: **ما** ويرمز لها **(ص ع ع)**، وقد يكون على هذا الشكل **(ص.ع.ص)** في مثل: **(لم)**.

3- المقطع الطويل: وهو المقطع المكوّن من أربع كميات، مثل: **كيف**، وتتشكل بدورها من أربعة رموز: **(ص ع. ص. ص ع)**.

ومن حيث **النّوع**، فإنّ المقاطع الصوتية تكون على هذا الشكل:

1- المقطع المفتوح: لانتهائه بصائت (ع) في المثال الأول **ك= (ص ع)**.

2- المقطع المغلق: وذلك لانتهائه بصامت ك: **لم = (ص ع. ص)**.

3- المقطع المزدوج الانغلاق: وسمي بذلك؛ لأنه مكوّن من مقطع قصير مفتوح **(ص ع)**، وقصير مغلق (ص. ص)، في قول: **بحر= (ص ع. ص. ص)**.

4- المقطع مزدوج الانفتاح: في مثل: **قبلا**، وتقطيعه هكذا (**ص ع. ص ع. ص ع ع**).
والملاحظ أن هذه التشكيلة مؤلفة من ثلاث كميات كل منها تمثل مقطعا.

إذن فالمقطع شكلان: **كما** ويشكل ثلاثة أصناف: قصير، متوسط، وطويل، **ونوعا** ويشكل أربعة أصناف: مفتوح، ومغلق، ومزدوج الانغلاق، ومزدوج الانفتاح.

وإذا نظرنا واعتبرنا أن المقطع الصوتي وحدة تركيبية تشكل أساس كلّ تركيب لغوي مبني في لبّه على المفردات بمختلف أنواعها، نجد أنّ الصّيغة الإفرادية وبمكوناتها المادية والدلالية بنية مقطعية خاضعة للظواهر الصوتية وقوانينها، ويأتي هذا الفرع التّطبيقي مختصا بالصيغة الإفرادية في القرآن الكريم، أو ما يعرف بالمفردة القرآنية، مركزين على الثنائيات المتقابلة في القرآن الكريم، وما حصل لها من تبدّل تركيبي على مستوى التّشكيل المقطعي، من فعل الإبدال أو الإدغام، كميدان إجرائي لوصف هذه الظاهرة وتحليلها نطقا ودلالة، تشكيلا وتشكّلا.

والمقصود بالثنائية في هذه الورقة البحثية وجود المثل من نفس الجنس، من حيث الشكل والتّشكيل، لكن هذا المثيل قد يختلف في مكونات البنية؛ إمَّا لعلاقة صوتية، أو صرفية، أو نحوية تمتلك وظيفة خاصة ومخصوصة، تتقاطع وتتكامل لتترك أثرا دلاليا يحدده السياق والمساق، كما تحدده الموازيات.

5.الوصف الإجرائي لظاهرتي الإدغام والإبدال في الصيغ الإفرادية المتقابلة :

1- قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾[19] وما يقابلها من قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ**﴾[20]

2- يقول تعالى: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾[21] وما يقابلها من قوله تعالى: ﴿**أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ**﴾[22].

1.5النموذج الأوّل:(يضّرعون، يتضرعون)

1.1.5 التّشكيل المقطعي : الصيغة في أصل وصفها على الشكل: **يتضرْرعون**، ويكون تشكيلها المقطعي على النحو التالي: ص ع ص، ص ع ص، ص ع، ص ع ع ص بالوقف؛ ذلك أن العربية لا تبدأ بساكن ولا تقف على متحرك.

والصيغة مبدلة مدغمة تكون هكذا: **يضّرّعون** = **يَضْضَرْرَعُونَ**. بتشكيل مقطعي: **ص ع ص، ص ع ص، ص ع، ص ع ع ص**.

2.1.5 القراءة المقطعية :

إنّ الفرق بين **يتضّرعون**، **ويضّرّعون** قد حدث بفعل الإبدال والإدغام الذي وقع على الصيغتين، فالإبدال قد وقع في المقطع الثاني من صيغة **يتفعل** = **يتضرعون** (**ص ع**)، والإدغام في المقطعين الثاني والثالث من صيغة **يفّعّل** = **يضرعون** (**ص ع ص، ص ع**).

فقد أبدلت التاء ضادًا من يتضرعون إلى يضرعون، فأصبحت الصيغة **يضْضَرع**، أدغمت الضاد في الضاد، وذلك على حسب ما يمليه القانون الصوتي في ظاهرة التماثل، فأصبحت الصيغة النهائية يتضرعون = **يضّرّعون** من الوزن يتفعّل إلى يفّعّل.

والملاحظ أن الصّيغة (**يفّعّل**) فيها تضعيفان زائدان على (**يتفعّل**) والتي أتت بتضعيف واحد، وهذا راجع إلى تشكيلها المقطعي، **فـ يتفعّل** متكونة من خمسة مقاطع: مقطع قصير مفتوح (**ص ع**)، ثم مقطع قصير مفتوح (**ص ع**)، ومقطع متوسط مقفل (**ص ع ص**)، ثم يليها مقطع قصير مفتوح (**ص ع**)، وفي نهاية المقطع مقطع طويل مغلق (**ص ع ع ص**).

أما صيغة **يفّعّل** والمزيدة بتضعيفين قلت عن الصيغة الأولى بمقطع واحد، فمن حيث الكم؛ فإن **يفّعّل** تقل عن **يتفعّل** بمقطع قصير مفتوح متمثل في (**التاء**)، والذي أبدل ضاد، وأدغمت الضاد في الضاد، فأصبح بذلك مقطع متوسط مغلق (**ص ع ص**)، أمَّا من حيث النوع؛ فإن **يفّعّل** تعتمد في بنائها على المقاطع المتوسطة الموسومة بسهولتها في النطق، على خلاف صيغة **يتفّعل** التي تتكاثف فيها المقاطع القصيرة المفتوحة، وهي مستثقلة في اللغة العربية إذا توالت[23].

فأدى التّبديل التّركيبي دورا تشكيليا في تغيّر الوحدات التركيبية المقطعية، وبذلك أدى التغيير التشكيلي تغييرا دلاليا، وهو ما يفيده القول العام: "كل تغيير في المبنى هو زيادة في المعنى"، وهو ما يكشف عنه التفسير الدلالي:

3.1.5 التفسير الدلالي من التغيير:

ما كشفه البناء اللغوي أن "**يتفعل**" أطول بناء من "**يفّعّل**" في النّطق، فـ (**يتضرعون**)، أطول من (**يضّرّعون**) بمقطع واحد رغم ما يعتري صيغة **يفعّل** من تضعيفين زائدين.

ولهاته الحقيقة اللغوية تفسيرا دلاليا يستشف من السياق على الصيغة، والتي تفيد أنه من كان على وزن **يتفعل**، يؤتى به في اللغة للدلالة على التدرج في الحدث شيئا فشيئا[24]، أمَّا **يفّعّل** فاستعملت في القرآن الكريم للمبالغة في الحدث والإكثار منه[25]، ففي آية **الأنعام** قال يتضرعون، أي: "يتذللون؛ لأنّ الضراعة التذلل والتخشّع"[26]، أي: أنهم يكثرون من التضرع، تذللا للرب، وخضوعا لوحدانيته وحده بالعبادة، فأتت صيغته كثيرة المقاطع مع ما يتناسب مع إطالة في الحدث.

أمَّا (**يضّرّعون**) من آية الأعراف، فمقامها مقام وعد ووعيد، وإنذار وتخويف من العذاب، "فالتقدير: وما أرسلنا في قرية من نبي، إلاّ كذبه أهل القرية، فخوفناهم لعلّهم يذلون لله، ويتركون العناد"[27].

زيادة على هذا التفسير؛ فإن للسياق مقاصد تبليغية تحملها الصيغة على ما قبلها وبعدها من ألفاظ ودلالات، وهي إشارة لطيفة لفتنا إليها **فاضل صالح السامرائي**، إذ يرى أن (**يتضرعون**) قد سبقت بـ (**ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**)، و قال في سورة الأعراف (**يضّرّعون**) "**وما أرسلنامن قرية**"، والأمم أكثر من القرية، وهذا يعني تطاول الإرسال على مدار التاريخ، فلما طال الحدث واستمر جاء بما هو أطول بناء، فقال: (**يتضرعون**)، ولما كان الإرسال في الأعراف إلى قرية قال: (**يضّرّعون**)، فجاء بما هو أقصر بناء، ثم إن استعمال (**أرسل إلى**) يختلف عن (**أرسل في**)، فـ (**إلى**) تقتضي الإرسال إلى شخص التبليغ لا المكوث، أمّا (**في**)؛ فإنها تقتضي التّبليغ والمكوث، وهي بهذا تفيد الظرفية ببقاء نبيهم بينهم يبلغهم، ويذكرهم بالله لوقت محدد وفي مكان معين، وهذا يدعو إلى زيادة التضرع والمبالغة فيه[28]، فجاءت كل صيغة لتؤدي دلالة معينة يطلبها السياق، كما تطلبها الصيغة بتشكيلاتها المقطعية، وبتبدلاتها التركيبية.

2.5. النموذج الثاني: (يتدبرون، يدّبروا)

1.2.5 التشكيل المقطعي:

يتدبّرون = ص ع. ص ع ص. ص ع. ص ع ع ص.

يدّبرو= ص ع ص، ص ع ص، ص ع، ص ع ع ص.

2.2.5 التفسير الصوتي للتشكيل المقطعي:

إن بناء (**يتدبّر**) أطول بناءً من (**يفعّل**) في النطق، (**فيتدبرون**) أطول من (**يدبروا**) بمقطع واحد. فالأولى متكونة من خمسة مقاطع، في حين أن الثانية متكونة من أربعة مقاطع.

و"أصل هذا الإبدال هو الفك بالتاء، ف (**أدبر**) أصله (**تدبّر**)، فأبدلت التاء دالا، وأدغمت في الدال، فسكنت الدال الأولى، وجيء بهمزة الوصل توصلا إلى النطق بالساكن (..)، وهو من الإبدال الجائز لا الواجب، ولذا نرى الاستعمالين معا في اللغة، وفي القرآن الكريم"[29].

3.2.5 التفسير الدلالي:

احتوت صيغة (**يتفعل**) في (**يتدبرون**) على ثلاثة مقاطع قصيرة مفتوحة، وبمقطع واحد متوسط مقفل، كما احتوت على مقطع طويل مغلق، أمّا (**يفّعّل**) فتكوت من مقطعين قصيرين مفتوحين، وتساوتا في المقطع الطويل المقفل، فهل لهذه الزيادة والنقصان تركة دلالية؟

لسان التفاسير تجيب "نعم" وكتب الدلالة تؤكدها، ذلك أن سورة النساء اختصت بذكر الصيغة (**يتفعّل**) دون إبدال، أو إدغام لتدبر هؤلاء القرآن الذي أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم- بإمعان النظر، لما يحتويه من حق نظرة تأمل وتدبر. "فالتدبير والتدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور وإدبارها"[30].

واستعمال القرآن صيغة (**يتفعّل**) في هذه الآية لما لها من طول زمن، ذلك أنّ التدبر يحتاج إلى محاولات عدّة مبالغ فيها لكي تؤدي إلى قناعة عقلية، وإيمان قلبي يشتركان في فعل المبالغة لأمر التدبر لكتاب الله عزّ وجلّ، والامتثال لأوامره، والنهي عن منكراته، وهذا لا يتأتى إلّا بفعل التكرار، وعلى هذا أتت الصيغة محتوية على ثلاثة مقاطع قصيرة مكررة، لتحيل أن فعل التكرار يأتي بنوع من التدرج شيئا فشيئا، وذلك لمناسبة مقام الإطالة والتفصيل، ودلالة على التكلف وبذل الجهد[31].

أمَّا صيغة (**يدّبروا**) من سورة المؤمنين، فقد وردت مبدلة مدغمة، وقد ورد بعدها القول: (**أفلم يدّبروا القول**)، والقول قد يشمل الآية والآيتين، لا القرآن الكريم، وهذا يتطلب وقتا أقصر من تدبر عموم القرآن[32]، كما أنّ القول "الذي هو القرآن الكريم كان معروفا لهم، وقد مكنوا من التأمل فيه من حيث كان مبنيا لكلام العرب في فصاحته"[33]. فهم بذلك لم يبذلوا جهدا في تدبره، وبذلك وردت الصيغة مدغمة مبدلة، موجزة قصيرة في مقاطعها،

وتشكيلاتها، وهو ما أوحى أن القوم لا يحتاجون إلى طول تدبر؛ لأنهم يعرفون الحق، ويعرفون رسولهم، غير أنهم كارهون للحق متبعون الهوى[34].

وعلى هذا فالمقاطع الصوتية ووفق تشكيلاتها وتشكلاتها الموقعية في الصيغة الإفرادية، قد جمعت ما هو تشكيلي تلوني، بما هو دلالي تأثيري في المعنى والسياق ككل، وقد استعمل طول البناء لما له طول في الزمن، فتساوت مقاطع الصيغ طولا بطول زمن الحدث وتدرجه، وجاء بناء القصر في الصيغة، بفعل التبدلات التركيبيّة (**الإبدال والإغام**)، لقصر الزمن واستغراقه الحدث.

6. خاتمة:

وبعد هذا العرض التّطبيقي يتجلى لنا مدى العلاقة بين الإبدال والإدغام، أو ما يربطها من تقاطع و تكامل، وعلى هذا تأتي خاتمة هذا البحث مستشفة ببعض النتائج التي أمكن استخلاصها:

- إنّ التبدلات التركيبية هي تبدلات تصيب الأصوات، كما أنها تصيب معانيها داخل التركيب اللغوي.

- تظهر التبدلات التركيبية في الصّيغ الإفرادية أكثروضوحا، لما لخاصية المقطع الصوتي في إبراز الظاهرة، ووصفها وصفا تحليليا يخضع للتقعيد، كما يخضع للذوق والاستعمال.

- للإبدال والإدغام أو التجانس والتماثل الصوتي خصائص مشتركة متقاطعة ومتكاملة، ذلك أن التجانس نصف التماثل.

- كل من التماثل الصوتي والتجانس تلوينان صوتيان، وظيفتهما تقريب الأصوات من بعضها البعض، غاية لتحقيق الانسجام، واقتصادا في الجهد، وتسهيلا في النطق.

- بعض الصيّغ الإفرادية لا يتحقق فيها الإدغام؛ إلَّا بعد عملية التجانس الصوتي، وخاصة في الثنائيات المتقابلة في القرآن الكريم (**يتضرعون= يضّرّعون، يتدبرون= يدبروا**).

- هذه التّغيرات الصوتية والتبدلات التركيبية على مستوى الصيغة الإفرادية، وعلى مستوى التشكيل المقطعي لها أسبابها الصوتية، وخصائصها الصرفية، والتركيبية، فاستعانت بآليتي الإبدال والإدغام لإقامة الانسجام داخل التركيب اللغوي.

- كلّ استعمال قرآني للمفردة القرآنية ينجم عنه اختلافا دلاليا فالقرآن لا يستعمل لفظتين بمعنى واحد، وحتى وإن كانتا مبدلتين أو مدغمتين، وكل مفردة تختص بمعناها الخاص، ومورفولوجيتها المخصوصة، وهذا المستشف من المبحث التطبيقي.

كانت هذه أهم النتائج التي أمكن الاهتداء إليها، باستنطاق بعض الخصائص الصوتية، والمعالم الجمالية لظاهرتي الإبدال والإدغام في الصيغ القرآنية دون الإلمام بجميع وظائفها الصوتية، والدلالية في محاولة لفتح البحث عن هذه المواضع المتداخلة، والمتقاطعة، والمتكاملة في كثير من الحالات.

7. مراجع البحث وإحالاته:

1- مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية "دراسة تحليلية تطبيقية"، منشورات دار الأديب، وهران، ص: 140.

2- المرجع نفسه، ص: 141.

3- مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار أم الكتاب، مستغانم، ط 3 معدلة، 2014، ص: 139، ومكي درار، سعاد بسانسي، المقررات الصوتية، ص: 142.

4- مكي درار، الحروف العربية وتبادلاتها الصوتية في كتاب سبويه "خلفيات وامتدادات"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007، ص: 187.

5- سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1982، ص: 436.

6- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر، 1996، ص: 126.

7- ينظر المرجع نفسه، ص: 130.

8- المائدة: 28.

9- النمل: 22.

10- مكي درار، المجل في المباحث الصوتية، ص: 141، مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية، ص: 143- 144.

11- مكي درار، الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، ص: 212.

12- صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، لبنان، ط3، 2009، ص: 216.

13- المرجع نفسه، ص: 232، 233.

14- محمد بن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل، بركات، دار الفكر، القاهرة، ط 1، 1967، ص: 300.

15- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، القاهرة، ط 6، 1974، ج4/ 370.

16- ينظر: تحسين عبد الرضا الوزان، الصوت اللغوي والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة، الأردن، ط1، 2011، ص: 323، وسعاد بسناسي، مكي درار، صوتيات التصريف من التوصيف إلى التوظيف، دار أ م الكتاب، مستغانم، الجزائر، ط1، 2015، ص: 275، وصبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، ص: 216، 217.

17- مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية، ص: 114.

18- مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية، ص: 121- 132، وتمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص: 140.

*- هذه الرموز معتمدة لدى تمام حسان في كتاب مناهج البحث في اللغة العربية.

19- الأعراف: 94.

20- الأنعام: 42.

21- النساء: 82.

22- المؤمنون: 68.

23- منقور صلاح الدين، الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم تشكلاتها وإيحاءاتها (الصيغ الإفرادية أنموذجا)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والفنون، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014-2015، ص: 157.

24- فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة عاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 2006، ص: 37.

25- المرجع نفسه، ص: 39.

26- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984، ج7/ 227.

27- المصدر نفسه، ج9/ 17.

28- فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة، ص: 39.

29- فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة، ص: 36.

30- فخر الدين محمد الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1981، ج202/10.

31- السامرائي، بلاغة الكلمة، 38، 37، 42.

32- المرجع نفسه، ص: 44.

33- الرازي مفاتيح الغيب، ج23/ 112.

34- المرجع السابق، ص: 44.

8. قائمة مراجع البحث وإحالاته:

القرآن الكريم.

1. تحسين عبد الرضا الوزان، الصوت اللغوي والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، دار دجلة، الأردن، ط1، 2011.
2. سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط2، 1982.
3. سعاد بسناسي، مكي درار، صوتيات التصريف من التوصيف إلى التوظيف، دار أ م الكتاب، مستغانم، الجزائر، ط1، 2015.
4. صبحي صالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، لبنان، ط3، 2009.
5. عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، مصر، 1996.
6. فاضل صالح السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، شركة عاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، ط2، 2006.
7. فخر الدين محمد الرازي، مفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان، ط1، 1981.
8. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984.
9. محمد بن مالك، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، القاهرة، ط 6، 1974.
10. محمد بن مالك، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تح: محمد كامل، بركات، دار الفكر، القاهرة، ط 1، 1967.
11. مكي درار، الحروف العربية وتبادلاتها الصوتية في كتاب سبويه "خلفيات وامتدادات"، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2007.
12. مكي درار، المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، دار أم الكتاب، مستغانم، ط 3 معدلة، 2014،
13. مكي درار، سعاد بسناسي، المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية "دراسة تحليلية تطبيقية"، منشورات دار الأديب، وهران.
14. منقور صلاح الدين، الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم تشكلاتها وإيحاءاتها (الصيغ الإفرادية أنموذجا)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والفنون، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2014-2015.